

قيمة القراءة.

د. بوغازي الطاهر.

جامعة تلمسان

تمهيد:

تظهر أهمية القراءة في تكيف الفرد مع نفسه، أولاً، ثم مع أفراد المجتمع، وثقافته، ثانياً. فالفرد لا يستطيع أن يعرف ما يدور حوله من معرفة إلا إذا تمكن من الإطلاع، و المعرفة. فاستقطاب المعلومات من الخارج تصبح حاجة فردية ملحة لا تأتي، و لا تشبع إلا عن طريق الإطلاع كما يجري بالخارج، بقراءة الأفكار، و المعاني المحسدة لثقافة المجتمع. وهذه الاشياء لا توجد خارج فصل التعلم و القراءة. و من ثم أصبح الكتاب ذا أهمية كبرى في حياة الفرد. فالكتاب هو، أولاً، الصديق الأمين. و هو ثانياً المبلغ الصادق للأفكار، و الصور، و المعاني، و المعرفة، التي لا يستطيع الفرد العيش بدونه، في وقت زادت فيه كثافة و سرعة المعرفة و تداولها. و من ثم يظهر أن معالجة الموضوع يتمحور حول النقاط الثلاثة التالية:

1- القراءة عملية تحول.

2- الدرس أم الكتاب.

3- كيف نقرأ.

و سأحاول معالجة هذه النقاط بالتتابع.

1- القراءة عملية تحول:

يظهر التحول الذي تحدثه القراءة، في نظري، في ثلاثة أشكال هي:

أ- تؤدي القراءة إلى تحول ثقافي أساسي.

ب- تربط الإتصال بالآخر البعيد في المكان و الزمان.

ت - عندما يتبحر الشفهي، وتصبح القراءة في الكتاب ممكنة مرة أخرى.

نبدأ بالقراءة كأداة للتحويل الثقافي و نطرح السؤال التالي: لماذا نقرأ؟

نجيب مباشرة بأن للقراءة قيمة أسمى في سلم القيم الإنسانية. فهي لوحدها الوسيلة و الهدف: تمنح القارئ الإتصال بينوع المعرفة الدافق، تحرره من الثقافة المحلية (باعتبار أن الثقافة تشمل العادات و التقاليد، و العرف، و الدين، و الأخلاق... و غيرها من مصادر المجتمع). تمنح القارئ حرية التفكير و متابعة الأفكار بعلمية ومنهجية. إن دراسة الموسيقى هي واحدة من المواضيع التي تحول لصاحبها متابعة النوبة المسجلة في المدرج الموسيقي لإخراج القطعة الفنية علي الصورة الجمالية الجائر تذوقها. فهذه القراءة تختلف عن الأذن الموسيقية التي تعتمد السماع العفوي. هذه الأخيرة تفتقد إلى القراءة، أي قراءة النوبة، و بالتالي لايمكن قراءة القطعة الموسيقية و الإستفادة منها، أو إعادة قراءتها. إذن فالقراءة في الكتب تمكن القارئ من الاقتداء ببعض الاشارات الضرورية للمعرفة: المعرفة التاريخية المعطيات الجغرافية الأشكال و تواريخ العبور من الخرافي إلى العلمي

إن الشفاهي الممثل في مواد الثقافة الشعبية كالأساطير، و الحكايات لا تستقر في ذهن السامع. بمجرد سماعها، بل يعيش أحداثها و تستقر اذا كانت جذورها ظاربة في أعماقه. بينما يضل المكتوب ماثلا أمامنا كموضوع يخول لنا فرصة القبول أو الرفض، و يتحول إلى إضافة معرفية حيث تتوسع المدارك المعرفية. إن الخطاب الشفاهي الذي يتطلب التكرار يجعل الفرد تحت ضغط شرط الإستجابة الإعتقادية بما يلقي إليه من أخبار. و هنا تكمن سلطة المرسل على المتلقي. فهو أسلوب يؤدي في الأخير الى الدعاية و الإشهار. في حين أن القراءة تجعل من الإنسان فردا متحررا من الدوغماتية متوسطا للمعرفة مستهلكا ومنتجا لها. فالقراءة اذن ليست وسيلة ميسرة، فهي تتطلب وجود خلفية لها ممثلة في المعرفة المدرسية، و في الممارسة القرائية، المدعمة بالأدلة، و الإثبات العلمي للأفكار. و تحول، في الأخير، للفرد القدرة على التحليل و التصور الصحيح للمفاهيم و الأفكار. فهي تحول الفرد

مرة أخرى من ذات ساكنة إلى ذات متحركة أي واعية بما يجري في عالم الأفكار. يحتوي الشفهي على العبر الأخلاقية، و الدعائية و القدرة على تحريك المشاعر بمضامين خيالية وأساطير لا يفهمها في غالب الأحيان إلى من اقتنع بها و حولها إلى موضوع تبليغ. في حين تمنح القراءة للفرد قدرة الاعتقاد بالأفكار، أو رفضها. و تصبح في الأخير قيمة من بين مجموعة القيم التي تكون الشخصية الإنسانية.

2- الدرس أم الكتاب؟

طرحت هذه الإشكالية عبر الزمن التربوي الطويل مشاكل للمربين. فظهرت اتجاهات كثيرة، نظرية و تطبيقية على المستوى الأكاديمي. نحاول أن نبدأ، أولاً، بالدرس. أدت المناقشات التربوية إلى إلغاء الدروس حيث اعتبرت الكلمة فيها بمثابة السلطة التي يمارسها المدرس على المتعلم، بحيث أن معظم المدرسين في الدرس لا يقولون شيئاً أكثر من معلومات و معارف متفرقة تبقى خالية من الأهداف البيداغوجية. وإذا رجعنا للزمن، قبل تاريخ 1968 حيث احدث مناقشات تربوية في فرنسا تصدعات بين أساتذة التعليم التي أدت إلى إلغاء الدروس، واستبدالها بالكتاب. أقول نعود في الزمن لنبحث في أفكار رجال التربية سنجد فعلاً على الأقل واحداً منهم، وهو (Alain) قد ذكر على أن: الهدف من التعليم، الابتدائي على الأقل، يسعى إلى تعليم الأطفال كيفية القراءة، و خاصة القراءة الفردية التي تعتبر مسهل الوحيد لقراءة صحيحة. أي ما سماه المرور إلى عصر الإنسانية، بما تعرفه هذه العصرنة من تجديد الأفكار و تحريكها من قارة إلى أخرى حيث يتمكن القارئ في الجهات الأخرى من الكرة الأرضية من معلومات هو في حاجة إليها. وحينها تبدأ القيم الإنسانية تطفوا فوق أية قيمة أخرى. في حين أن الدرس هو نموذج روتيني تقليدي مفعم بالقداسة، حيث تتجسد السلطة التي يخاف أن يفقدها المدرس إذا ما غزت مجال عمله الأدوات التعليمية الحديثة، العاملة على قراءة الكلمة الإنسانية و تحويلها إلى معرفة حيث ينتفي دور الدرس. ويصبح الفرد في مقدوره التخاطب مع الأدوات

الحديث (الانترنت). من جهة أخرى فإن الدرس يلغي حرية التفكير لدى المتعلم، و يقصيه من المشاركة في تكوين المعرفة.

إن وجود المتعلم في القسم يشترط القراءة و الكتابة، و العمل. ومن ثم فإن هدف المعرفة هو البحث في طرق إلغاء الدرس، و قراءة الكتاب معان حتى يسهل التوافق المراد من فعل المتعلم. فالدرس وحده لا يكفي لإيصال المعرفة. كما أن القراءة الحرة لوحدها تترك القارئ يسبح في عوالم من المعرفة قد لا يجد لوحده ذلك الانسجام، ولا يصل إلى الهدف التربوي الذي يسعى إليه الدرس المضبوط.

جميل إذا أن يقرأ التلميذ الكتاب قبل ذهابه إلى المدرسة، لأنه سيجد الدرس المتبوع بقراءة النصوص يتحدث عن نفس الأفكار التي اطلع عليها في البيت. و من ثم تسقط الهوة بين الدرس و الكتاب .

كيف نقرأ؟

-3

ليست القراءة دائما ميسرة للجميع. فهي تتطلب شروطا موضوعية نذكرها في ما يلي:

- الانفراد بالكتاب في مكان مريح نفسيا

- يصبح القارئ كالمتعبد، منغلق في دائرة أفكار الكاتب، بإبعاد كل فكرة مسبقة.

- الاقتناع بأن الفرد سيقراً من أجل التعلم.

نحاول أن نشرح أبعاد هذه الافتراضات الثلاث للقراءة . إن القراءة

الأولية تبدأ في القسم مع الأقران. فالنص الذي يعتمد عليه المدرس هو نفسه الدرس الذي قرأه المتعلم في بيته. فتظهر الأفكار المتعددة للمتعلمين و التي خضعت للمناقشة، تبقى خلاصتها مستوعبة من طرف كل المتعلمين. ومن ثم لا يستطيع المتعلم بمفرده أن ينساق أو يتحيز لأفكاره الخاصة. بعدها سيكون المتعلم مقتنعا بأن ما قرأه هو ما يحتاجه للتفاهم . مع الآخرين الذين يحملون نفس المعرفة أو على الأقل أولئك الذين قرؤوا نفس النص في

القسم. و تؤدي القراءة حينها قيمة إنسانية، تحول الإنسان المادي إلى إنسان يعترف، أولاً وقبل كل شيء بالإنسان الآخر و بمكوناته الثقافية، وهو أسمى هدف تربوي.

ألا يمكن أن نحزم بأن الكثير من الأميين المتواجدين على الكرة الأرضية بعامة جاءت وضعيتهم من عدم معرفتهم القراءة؟ بل جاءت ربما كذلك من عدم قدرة أحدنا على جمع هؤلاء الناس في مكان واحد و تحسيسهم بأهمية القراءة وتعليمهم أياها.

يبقى أن نتحدث عن وسيلتين هما:

أ- هناك نوعين من النصوص و هذا يعني أن هناك قراءتين. نصوص تصدمننا بجديتها العلمية و بأفكارها الجديدة. إزاء هذه النصوص يتعثر النقد و لا نملك إلا الاعتراف و الانقياد للنص.

ب- وهناك نصوص تجعل القارئ مدعوا للمشاركة، حيث يحس أنه داخل عائلته، أي موجود مع من يتقاسم أفكارهم، و هذا النوع من النصوص هو القابل للنقد لأنه يدخل في دائرة اهتمامه و معارفه الخاصة.

هذا التوجه الثاني للنصوص يطرح أمام القارئ إشكالية من نوع عملي براغماتي هو البحث عن العلاقة بين مضمون النص و صور الحياة المعيشة. إن القراءة تحول الإنسان الاطلاع على أشكال الحياة العملية في صورها المختلفة. أما الواقع الحياتية تعرض الصور الفكرية في شكل سلوك معيشي يومي. و من ينصب النقد على مستوى قيمة النص و ما يحمله من أفكار.

ومن ثم يبقى السؤال الاكاديمي يطرح نفسه لماذا الكاتب النصوص التي لا يجد فيها القارئ إلا متعة السفر في سماء الأفكار.

أما إذا جئنا إلى المستوى التعليمي فإننا نجد أن أدبيات البحث التربوي تحذر المربين من أن التركيز على القراءة مع بداية السنوات الأولى من العمر هي ضمان النجاح في المستقبل المدرسي. و لذلك نجد التوجه التربوي يتحدث عن أهمية الدوافع و التحفيزات والمجهود المتوج بالحرص و المداومة على القراءة و الانتباه. وهي أمور تربوية لا تعني المدرس

لوحده ، بل تخصص بالدرجة الأولى الوسط الأسري و النوادي الثقافية، وأجهزة الإعلام.
جهود متضافرة متجهة صوب أسمى قيمة في حياة الفرد القراءة.

المراجع:

- 1- أبو الفتوح رضوان، مصطفى زيدان: المدرس في المدرسة و المجتمع ، الانجلو مصرية 1970.
- 2- محمد جمال صقر : إتجاهات في التربية و التعليم، دار المعارف 1956.
- 3- Delorgue (R) : Apprendre a lire avant six ans Ed Bruxelles 73.
- 4- Alain : Propos sur l'education P.U.F 1948.
- 5- Postman (N) : Enseigner c'est résister le centurion 1981.
- 6- Reboul(O) : Qu'est ce qu'apprendre P.U.F que sais-je 1989.